المفسرون والشعر

ابتسام مرهون الصفار

نزل القرآن الكريم في عصر بلغت فيه البلاغة العربية ذروتها ، وأينع فيه الفكر العربي فأثمر تفننا رائعا في مختلف فنون البلاغة والبيان • فكان فيهم الخطيب المفوه ، والشاعر المفلق ، والبليغ الذي لا يبارى فنزل القرآن الكريم بلغتهم وأساليبهم الا أن فيه نمطا معجزا فصّلت آياته باسلوب يسحر سامعيه ، ويأخذ بمجامع قلوبهم فيطمئن المؤمنون وتنساب آياته في قلوبهم لتزيدهم ايمانا ، ويذهل الكافرون والمعاندون غير ان أسلوبه الرائع يمتلك نفوسهم ، ويسحر ألبابهم فلا يستطيعون الا أن يقروا روعته وبيانه • ومما يذكر في هذا الباب ان الوليد بن المغيرة ذهب الى رسول الله (ص) ـ وكان من ألدّ أعدائه ـ يسترق السمع لما يقوله فلما عاد الى قومه سألوه فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ، ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق[1] • واذا كان العرب قد أعجبوا بالقرآن الكريم ، وفهموا آياته فقد كانت هناك بعض الكلمات والتعبيرات يشكل عليهم فهمها فكان الرسول (ص) يبينها لهم تطبيقا لرسالته في ارشاد الناس وهدايتهم الى طريق الصواب (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[2] • وقد حث الرسول (ص) المسلمين على تعلم القرآن واعرابه فعن ابن مسعود انه قال أعربوا القرآن فانه عربي[3] • وكان لا بد لمن يريد أن يتعلم القرآن واعرابه أن يرجع الى لغة العرب يفهم أسرارها ودقائقها في التعبير • ومن هنا حث النبي (ص) على تعلم اللغة والاعراب[4] • وكان من الطبيعي أن يكون الشعر أول ما يرجع اليه في تعلم العربية ؛ لانه يمثل الاسلوب البياني الراقي الذي وصلت اليه اللغة العربية قبل ظهور القرآن الكريم • وقد روى ابن عباس ان

---

(١) الكشاف ٣ : ٢٨٧
(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤
(٣) الزينة ١ : ١١٧
(٤) ن•م

رجلا سأل النبي (ص) فقال أي علم القرآن أفضل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عربيته فالتمسوها في الشعر[٥] • ونجد في أقوال الصحابة تأييدا لهذه الروايات حيث يوجه الصحابة المسلمين الى تعلم اللغة العربية ، وحفظ الشعر ومعرفته ليعينهم على فهم القرآن الكريم • ومما يروى في هـذا الباب أيضا ان الخليفة عمر بن الخطاب كان يوما على المنبر فقرأ (أو يأخذهم على تخوف)[٦] فسأل عن معنى التخوّف فقال له رجل من هـذيل التخوف عنـدنا التنقص ثم أنشـده :

تَخوَّفَ الرَحْلُ منهـا تامكاً قَرِدا

كما تَخوَّفَ عودَ النبعـةِ السَّفِنُ[٧]

فيقول عمر لاصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا • قالوا وما ديواننا ؟ قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[٨] • حقا كان الشعر الجاهلي ممثلا لديوان العرب مستودعا لاخبارها حافظا لآدابها وأنسابها فكان على من يريد أن يعرف أخبار الجاهلية أن يرجع اليه ، ويعرف معانيه ، ودقائقه • ولقد ذهب الجاحظ الى أكثر من ذلك حين قال بأن من يجهل أمور الجاهلية لا يستطيع أن يفهم الكتاب والسنة[٩] • وذهب ابن قتيبـة الى قريب من هـذا حين قال بأنه لا يعرف فضل القرآن الا من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الاساليب ، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات ، فانه ليس في جميع الامم أمة أوتيت من العارضة والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العرب[١٠] •

وقد اشتهر ابن عباس من الصحابة باتجاهه الخاص في التفسير ؛ وذلك بكثرة تمثله بالشعر العربي في شرحه لغريب القرآن الكريم • وقد عُدّ لذلك

---

(٥) مقدمة ابن عطية : ٢٦١

(٦) سورة النحل ١٦ : ٤٧

(٧) التامك السنام والقرد الذي تجعد شعره ، والنبع شجر تصنع منه القسي والسهام ، والسفن كل ما ينحت به غيره •

(٨) المزهر ٢ : ٤٧٠

(٩) الحيوان ١ : ٩٠

(١٠) تأويل مشكل القرآن : ١٠

المؤسس الاول لهذه المدرسة[١١] . وكثرت أقواله التي يوجه فيها الانظار الى معرفة وتعلم الشعر العربي ليعينهم على فهم القرآن من ذلك ما يروى في تفسير الحَرَج في قوله تعالى (وجاهدوا في الله حقّ جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حَرَج ...)[١٢] فقد صعب على بعض الصحابة تفسير معنى الحرج فقال ابن عباس : اذا تعاجم شيءٌ من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي . ثم دعا اعرابيا وقال له : ما الحرج عندكم ؟ قال الضيق[١٣] . وفي رواية أخرى بهذا المعنى أيضا ان ابن عباس قال : اذا قرأتم شيئا من كتاب الله ، فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب[١٤] . وقد طبق ابن عباس هذا المنهج في مجالسه التي كان يعقدها ليعلم الناس امور دينهم حيث كان يبدأ مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث ثم بالشعر[١٤ آ] وكان الناس يؤمون مجالسه ، ويزدحمون في حلقاته لينهلوا من علمه الغزير فناسٌ تأتيه للشعر ، وناسٌ للانساب وناس لايام العرب ووقائعها ، فما منهم من صنف الاّ يقبل عليه بما يشاء[١٥] . وقد وصف عطاء مجلس ابن عباس ، واجتماع الناس فيه بقوله : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقها ، وأعظم خشية ان أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم في وادٍ واسعٍ[١٦] . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا قط أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس للحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام[١٧] . وقيل انه كان يخصص لكل يوم بابا من أبواب العلم ، فكان يجلس يوما لا يذكر فيه الا الفقه ، ويوما للتأويل ، ويوما للشعر ، ويوما لايام العرب[١٨] . ووُصف ابن عباس بأنه كان أعلم الناس في أمور الفقه ،

(١١) انظر مذاهب التفسير الاسلامي : ٩٠
(١٢) سورة الحج ٢٢ : ٧٨
(١٣) جامع البيان ١٧ : ٢٠٨
(١٤) العمدة ١ : ١٧ ، طبقات القراء ١ : ٤٢٦ ، الاتقان ١ : ١١٩
(١٤آ) مقدمة ابن عطية : ٢٦٢
(١٥) الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢١
(١٦) الاصابة ٢ : ٣٢٤
(١٧) طبقات القراء : ١ : ٦٢٦
(١٨) الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢٢

وغريب القرآن ، وعلم العربية والشعر القديم[١٩] . حتى ان أحدهم قال لو ان قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا[٢٠] واذا كانت المراجع القديمة تصف اطلاعه الواسع على الشعر العربي ، ومعرفته لاخبار الشعراء وأنسابهم[٢١] . فان هناك روايات تذكر تتبعه وحفظه لشعر شاعر معاصر له هو عمر بن أبي ربيعة ، مع ما عرف به عمر من انغماره في الملذات ، وانشغاله بالغزل والتشبيب . ومع ذلك فقد كان ابن عباس يستمع الى انشاد عمر لاشعاره ، ويحفظها ، ويرويها . ومما يذكر في هذا انه كان يوما في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ انتَ غادٍ فمبكرُ
غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا ابن عباس ! انّا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصي البلاد ، نسألك عن الحلال والحرام فتتأمل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت
فيخزي وامّا بالعشيِّ فيخسَرُ

فقال : ليس هكذا قال : فكيف ؟ فقال : قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضتْ
فيضحى وامّا بالعشي فيخضر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت . فقال : أجل ، وان شئت أنشدك القصيدة . ثم تذكر الرواية بأن ابن عباس أنشد القصيدة كلها، وقال بعضهم مبالغا بأنه أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة، وما سمعها الا مرة واحدة[٢٢] . مما يستدل

---

(١٩) الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢٢ وانظر ايضا نكت الهميان : ١٨٠
(٢٠) صفة الصفوة : ١ : ٣١٦
(٢١) انظر فى هذا ما اورده ابن الانباري فى شرح ديوان المفضليات : ١١٣
(٢٢) الاغاني ١ : ٧٢

به على قوة ذاكرة ابن عباس ، وذكائه الذي أعانه على هذا الاتجاه في التفسير • واذا كان نافع بن الازرق ـ كما تذكر الرواية ـ قد أنكر على ابن عباس أن يحفظ شعر عمر بن أبي ربيعة فان هناك روايات أخرى تذكر انه أنشد بيتا فيه معنى من معاني الفحش وهو محرم(٢٣) • ولم يتحرج ابن عباس من هذا لاعتقاده بانه لا يتنافى مع الدين ، وان حفظ الشعر وسيلة من وسائل معرفة العربية التي لا بد من اتقانها لكل من يريد معرفة تفسير القرآن • ويعلل لنا هذا تتبع ابن عباس لكل قصيدة جديدة ينشدها عمر بن أبي ربيعة مع علمه بحال هذا الشاعر واستهجان رجال قريش الورعين شعره الذي لم يترك شريفة من شريفات العرب الا نالها بالغزل والتشبيب • وهناك روايات تبالغ في تصوير ذكاء ابن عباس بالشعر حتى انه يستطيع أن يكمل بيت شعر قبل سماعه فيطابق كلامه قول الشاعر من ذلك انه حين أنشده عمر بن أبي ربيعة قوله :

تشط غداً دار جيراننا

وسكت • قال ابن عباس :

وللدار بعد غدٍ أبعدُ

فقال عمر : كذلك قلت ـ أصلحك الله ـ أفسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي(٢٤) • والذي يهمنا في هذا المجال مدى تطبيق ابن عباس هذا المنهج في تفسيره لغريب القرآن ومعانيه ، مستفيدا من سعة اطلاعه ، ومعرفته لاساليب الشعر العربي •

لقد حفلت كتب التفسير بروايات جمّة غزيرة يتمثل بها ابن عباس بالشعر في تفسيره لآيات الذكر الحكيم • واشتهرت رواية تداولتها كتب الادب والتفسير تعكس مذهب ابن عباس • وهي انه كان يوما بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الازرق ـ ويبدو ان هذا كان أول لقائه معه ـ قل لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذي يجتريء على تفسير القرآن بما

---

(٢٣) الحيوان ٣ : ٤٠ ، جهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، العمدة ١ : ١٧ ، جامع البيان ٦١ : ١٤ ، التبيان ٧ : ٢٩ ، جمهرة اشعار العرب : ٤ ، الكشاف ٢ : ٣١٤

(٢٤) الاغاني ١ : ٧٣

لا علم له به فقاما اليه فقالا : اننا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما[٢٥] . فأخذا يوجهان له الاسئلة فيجيبهما عن كل مسألة بشاهد من الشعر العربي . وقد جمع السيوطي هذه المسائل فكانت مائتي مسألة ، وذكر بأنه ترك جزءً يسيرا منها نحو بضعة عشر سؤالا قال عنها : وهي أسئلة مشهورة أخرج الائمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس . وأخرج أبو بكر الانباري في كتاب الوقف والابتداء منها قطعة . وأخرج الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة[٢٦] اضافة الى ان كثيرا من كتب التفسير والادب تذكر شواهد منها[٢٧] . وهناك مخطوطتان لهذه المسائل أولاهما في مكتبة دار الكتب الظاهرية والاخرى ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية وكلتاهما لا تبلغان ما جمعه السيوطي .

واذا تتبعنا أجوبة ابن عباس واستقصينا شواهده وجدناها تنقسم الى ثلاثة مجاميع . أولاها الشواهد المنسوبة الى شعراء جاهليين ، حيث تمثل ابن عباس بشعر عدة شعراء كالاعشى واوس بن حجر ، والنابغة الذبياني ، وامرىء القيس، وزهير بن أبي سلمى وغيرهم أما المجموعة الثانية من الشواهد فهي التي ينسبها الى شعراء اسلاميين كحسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحه وكعب بن زهير ، وعبدالله بن الزبعرى . وجاوز شعر هؤلاء ليتمثل بشعر شعراء معاصرين له كعمر بن أبي ربيعة مثلا[٢٨] . وهناك مجموعة من الشواهد لم ينسبها ابن عباس الى قائليها وهي كثيرة بالنسبة للشواهد المنسوبة ، وقد بلغت ستا وستين شاهدا . وتمثل ابن عباس بهذه الشواهد يمكن أن نعلله بانها ربما كانت معروفة مشهورة

---

(٢٥) الاتقان ١ : ١٢٠

(٢٦) ن٠م

(٢٧) الكامل / المبرد ٣ : ٩٥٧ ، العمدة ١ : ١٧ جمهرة اشعار العرب ٢ ، مقدمة ابن عطية : ١٩٨

(٢٨) لقد جوز العلماء الاستشهاد بشعر المخضرمين الا انهم اختلفوا فى الاسلاميين وان رجح بعضهم التمثيل باشعارهم في غريب اللغة والنحو والقرآن . انظر في هذا ما ذكره البغدادي في الشعراء الذين يتمثل بشعرهم : خزانة الادب ١ : ٣

النسبة في زمانه فاستغنى عن ذكر قائليها اعتمادا على شيوعها وحفظ الناس لها • من ذلك تمثله ببيت عمر بن أبي ربيعة دون أن ينسبه :

رأتْ رجلا اما اذا الشمس عارضت
فيضحى وامّا بالعشيِّ فيحضر(٢٩)

وقد مرّ بنا ذكر معرفة ابن عباس وحفظه لهذا البيت والقصيدة كلها • كما تمثل ببيت لابي زبيد الطائي وهو قوله :

فباتوا يدلجون وباتَ يسري
بصيرٌ بالدجى هادٍ هموس(٣٠)

وتمثل بشاهد للنابغة الجعدي وهو قوله :

تضيئكم من سراج السليطِ
لم يجعل الله فيه نحاسا(٣١)

وهناك شاهد شعري يجعلنا نعيد النظر مرة أخرى في المسائل المنسوبة الى ابن عباس أو قل يثير الشك في بعض المسائل وذلك انه حين سئل عن قوله تعالى عذاب اليم قال الاليم الوجيع• قيل وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت قول الشاعر :

نام مَنْ كان خليّاً من ألَم
وبقيتُ الليلَ طولاً لم أنَم(٣٢)

والبيت لبشار بن برد(٣٣) • فهل وضعت هذه المسألة وحدها على ابن عباس وبان وضعها من اختيار شاهدها من أشعار بشار المتوفى سنة ١٦٧ هـ(٣٤) بينما كانت وفاة ابن عباس سنة ٦٨ هـ(٣٥) • أم ان هناك مسائل أخرى وضعت عليه ولم يظهر وضعها لان شواهدها لشعراء جاهليين واسلاميين • ان معرفة هذا

(٢٩) الاتقان ١ : ١٢١ وراجع ما ذكرناه سابقا ص٥٣
(٣٠) ن٠م والبيت فى شعر ابي زبيد : ٩٤
(٣١) لم ينسب البيت في الاتقان ، ونسب في المخطوطة للنابغة الذبياني والصواب انه للنابغة الجعدي كما هو مثبت في ديوانه : ٨١
(٣٢) الاتقان ١ : ١٢٣
(٣٣) الاغاني ٣ : ١٥٠

الجواب لا بد أن نلازم عملية بحث وتحقيق لهذه المسائل للوقوف على مدى صحة نسبتها جميعا لابن عباس .

ونجد في المسائل ان ابن عباس قد تمثل بشعر لامية بن أبي الصلت يظهر على كثير منه طابع الانتحال لما فيه من تشابه واضح مع صور القرآن الكريم كقوله :

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم
الا سرابيل من قَطْرٍ وأغلال (٣٦)

وذلك حين سئل عن قوله تعالى (خلاق)(٣٧) فقال هو النصيب وتمثل ببيت أمية السابق . وحين سئل عن قوله تعالى (جدّ ربنا)(٣٨) وما اذا كانت العرب تعرف ذلك تمثل ببيت أمية :

لك الحمدُ والنعماء والملك ربنا
فلا شيء أعلى منك جداً وامجد(٣٩)

وحين سئل عن السدر (المخضود)(٤٠) . قال الذي ليس له شوك اما سمعت قول أمية :

انّ الحدائقَ في الجنانِ ظليلة
فيها الكواعب سدرها مخضود(٤١)

وحين سئل عن قوله تعالى (اركسهم)(٤٢) . قال حبسهم . اما سمعت قول أمية :

---

(٣٤) انظر تاريخ الادب العربي – بروكلمان ج٢ : ١٢
(٣٥) انظر الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢٠ ، الاصابة ٢ : ٣٢٤ ، طبقات القراء ١ : ٦٢٦
(٣٦) الاتقان ١ : ١٢٥
(٣٧) سورة البقرة ٢ : ١٠٢
(٣٨) سورة الجن ٧٢ : ٣
(٣٩) الاتقان ١ : ١٢٨
(٤٠) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٨
(٤١) الاتقان ١ : ١٢٨
(٤٢) سورة النساء ٤ : ٩١

اركسوا في جهنم انهم كانوا

عتاتا يقولون كذبا ومينا(٤٣)

وحين سئل عن الحتم المقضي(٤٤) قال الحتم الواجب • اما سمعت قول أمية :

عبادك يخطئون وانت ربّ

بكفيك المنايا والحتوم(٤٥)

وهكذا باقي الشواهد الاخرى تتسم كلها بالطابع الاسلامي حيث الصورة القرآنية ، والنفس القرآني الذي تعمد الرواة بثه في أشعار نسبوها لامية • ومع اننا نجد شعر أمية في شواهد المفسرين الآخرين فان تمثل ابن عباس فيه يثير التساؤل نظرا لقدم ابن عباس أولا ومعرفته للشعر العربي ثانيا • فهل وضع ابن عباس هذه الشواهد ليتخلص من الحرج الذي قد يلاقيه أمام نافع بن الازرق وجماعته الذين أخذوا عليه قولا بأن يجيبهم عن كل كلمة يسألون عنها بشاهد من الشعر العربي ؟ وهل يمكن أن نتهم ابن عباس بوضعها وهو ـ كما مرّ بنا ـ يستطيع أن يكمل بيت الشعر كما قاله صاحبه قبل سماعه كما تدل الرواية ؟ الارجح علم ابن عباس وتقاه يمنعانه عن وضع الاشعار • ولا يمكن القول بأنه أخذها عن رواة وضعوها عن لسان أمية فحفظها وتمثل بها ؛ لان معرفته واطلاعه الواسع على أخبار الشعراء وتمييزه لدقائق التعبير في الشعر الجاهلي لا بد أن تكشف له عن انتحال هذه الشواهد • وهناك احتمال آخر قد يخطر ببال الباحث وهو ان ابن عباس لم يتمثل بشعر أمية بن أبي الصلت ، وانما وضعت هذه المسائل عليه وأضيفت الى مسائله • الا أن تمثل المفسرين بشعر أمية يبعدنا مرة أخرى عن هذا الاحتمال • يضاف الى هذا ان السيوطي قد نصّ على انها أسئلة مشهورة أخرج الائمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة(٤٦) • وربما تمثل ابن عباس بهذه الشواهد مع علمه بأنها موضوعة لانه يعتبر الشعر المنحول ممثلا لشعر

---

(٤٣) الاتقان ١ : ١٢٩

(٤٤) سورة مريم ١٩ : ٧١

(٤٥) الاتقان ١ : ١٣٠

الشعراء الذين نسب اليهم أو على الاقل يقرُب من لغتهم وتعابيرهم كما ذهب بعضهم[٤٧] .

لقد تمثل ابن عباس بالشواهد الشعرية ليجيب عن كلمات غريبة صعبة في القرآن الكريم وهي التي عليها أكثر المسائل . وهناك مسائل أخرى نصّ فيها ابن عباس على تحديد موطن الكلمة كأن تكون بلغة بني هـذيل[٤٨] . أو بني مالك[٤٩] أو هوازن[٥٠] ... وهكذا . وهو بهذا يطلعنا على شمول معرفتـه للعربية وأسرارها ، واطلاعه الواسع على لهجات القبائل المختلفة حتى استطاع أن يجيب عن الكلمات التي اختصت بها بعض اللهجات بشاهد من شعر متكلمي تلك اللهجة وقد تكون الكلمة غير عربية كأن تكون حبشية مثلا الا ان العرب أدخلوها في لغتهم . واستعملوها في أشعارهم فينص ابن عباس على أعجميتها ثم يتمثل بشاهد من الشعر العربي وردت فيه الكلمة . من ذلك انه حين سئل عن (الحوب) قال هو الاثم بلغة الحبشة وتمثل ببيت الاعشى :

فاني ومـا كلفتموني من أمركـم
ليعـلم من أمسى أعق وأحوبا[٥١]

وهكذا تطلعنا هذه المسائل على منهج ابن عباس في التفسير[٥٢] وتطبيقه لهذا المنهج ، وسعة اطلاعه التي مكّنته من توطيد خطوات ثابتة في تفسير ما أشكل من لفظ القرآن الكريم .

---

(٤٦) انظر الاتقان ١ : ١٣٣
(٤٧) الزينة ١ : ١٢٠
(٤٨) الاتقان ١ : ١٣٢
(٤٩) ن.م ١ : ١٢١
(٥٠) ن.م ١ : ١٢٩
(٥١) ن.م ١ : ١٢٨
(٥٢) اما التفسير المنسوب الى ابن عباس والمسمى تنوير المقياس من تفسير ابن عباس والمطبوع فى مطبعة الاستقامة ١٩٦٠ فهو عبارة عن جمع لروايـات نسـبت الى ابن عباس اختصرت فيـه الاسـانيد وحذفت الشـواهد جمعه محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ . لذا نجد ان هذا التفسير لا يماثل الروايات التي تنسبها كتب التفسير الى ابن عباس .

ونجد بعد ابن عباس ذكرا لمؤلف سار على هذا النهج ، وخطا خطاه . وهو أبان بن تغلب بن رياح في كتابه المسمى الغريب من القرآن وشواهده من الشعر . وكان أبان أحد القراء والفقهاء قرأ على عاصم وأبي عمرو الشيباني وهو أحد الذين ختموا القرآن على الاعمش توفي سنة احدى وأربعين ومائة . وجاء بعده عبدالرحمن بن محمد الازدي الكوفي فجمع من كتاب أبان ومحمد ابن السائب الكلبي وأبي ورق بن عطية بن الحارث كتابا واحدا بين ما اختلفوا فيه ، وما اتفقوا عليه[٥٣] . وفي وصف قوة حفظ أبي بكر بن الانباري وهو محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ذكر انه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا للقرآن الكريم . وكان ثقة صدوقا وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين[٥٤] .

وأخيرا نجد ذكرا لتفسير كثرت فيه الشواهد الشعرية في شرح آيات القرآن الكريم ذلك هو تفسير الشيرازي لابي محمد عبدالوهاب بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ اذ يقال انه ضمنه مائة ألف بيت من الشواهد[٥٥] .

وهكذا استمر منهج ابن عباس ونهج كثير من التابعين وأتباع التابعين على تفسير غريب القرآن بشواهد من الشعر تؤيد كلامهم وتقوي حجتهم ، فنجدهم يتمثلون بالشعر في اختلافهم بقراءات القرآن الكريم . واذا كان بعضهم يعتبر أولى مراحل التفسير قد بدأت في نطاق الاختلاف في القراءات[٥٦] فان هذا يعني ان التمثل بالشعر قد واكب حركة التفسير منذ نشأتها فنجدهم مثلا يتمثلون بالشعر ليرجحوا قراءة على أخرى . وقد تصح عند المفسر قراءات فيتمثل لكل منها بشاهد من الشعر دون أن يرجح واحدة على أخرى . من ذلك ما قاله الفراء في قوله تعالى : (ان تبدوا الصدقات فنعما وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفّر عنكم)[٥٧] حيث ذكر في قراءة يكفر ثلاثة وجوه الرفع والنصب والجزم

---

(٥٣) فهرس رجال الطوسي : ١٤
(٥٤) غاية النهاية في طبقات القراء : ٢ : ٢٣١
(٥٥) كشف الظنون ١ : ٤٥١
(٥٦) مذاهب التفسير الاسلامي : ٦
(٥٧) سورة البقرة ٢ : ٢٧١

متمثلا لكل وجه بشاهد من الشعر ، ثم يعقب على ذلك بقوله : وهو كثير في الشعر والكلام وأكثر ما يكون النصب[٥٨] • وينص بعضهم على مخالفته لقراءة معينة ويعتبرها شاذة • ومع ذلك يتمثل لها بشاهد من الشعر • من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة (والله يريد الآخرة)[٥٩] حيث ذكر ان الجمهور نصبوا الآخرة على الظاهر • وانها قرأت شذوذا بالجر والتقدير يريد عرض الآخرة فحذف المضاف وبقي المضاف اليه كما قال بعضهم :

أكل امرىء تحسبين امرءً
ونار توقّدُ بالليل نارا[٦٠]

وقد يكون اختلافهم في قراءة آية سببا في اختلافهم في تفسيرها وبالتالي اختلافهم في تطبيقها اذا كانت بخصوص فقه وتشريع من ذلك قراءة (وأرجلكم) بالنصب والجر في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين)[٦١] حيث سبب هذا الخلاف تباينا في مسح الرجل أو غسلها في الوضوء • ورجح بعضهم قراءتها بالنصب أي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم ثم تمثل بآية أخرى وشاهد آخر من الشعر •

وتأتي بعد هذا مرحلة الكتب التي ألفت في غريب القرآن ومشكله والتي تطورت عنها فيما بعد حركة جمع لكل روايات التفسير • ولا بد من المقارنة بين هذه المجاميع المختلفة لنعرف مدى استفادتها من الشواهد الشعرية وهل فيها استمرار لمنهج ابن عباس ؟

اذا بحثنا بعض قضايا التفسير في كتب معينة نجد ان كثيرا من الشواهد تتكرر على لسان المفسرين ولنأخذ لذلك مثلا اختلافهم في اعراب كلمة ثم في معنى كلمة وهكذا ••••

---

(٥٨) معاني القرآن ١ : ٨٧
(٥٩) سورة الانفال ٨ : ٦٧
(٦٠) املاء ما من به الرحمن ٢ : ١٠ ، الكشاف ٢ : ٢٤ وقد ذكر الشاهد في الكتاب ١ : ٣٣

في تفسير قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[٦٢] اعتبر أبو عبيدة (لا) في الآية الكريمة من حروف الزوائد لتتميم الكلام وتمثل بقول العجاج :

في بئرِ لا حورٍ سرى وما شَعَرْ

أي في بئر حور أي هلكة • وقال أبو النجم :

فما ألوم البيضَ الا تَسخرا
لما رَأيْنَ الشمطَ القفندرا

أي فما ألوم البيض ان يسخرن • وقال :

ويلحينني في اللهو الاّ احبه
وللهوِ داعٍ دائب غير غافلِ

والمعنى ويلحينني في اللهو ان احبه[٦٣] • نجد الفراء يرفض رأي أبي عبيدة هذا[٦٤] ، بعد أن يذكر الشاهد الاول الذي تمثل به وهو رجز العجاج • ثم يقول : وهذا غير جائز لان المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله فهو جحد محض وانما يجوز أن تجعل (لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم
والطيبان أبو بكر ولا عمر

فجعل (لا) صلة لمكان الجحد الذي في أول الكلام • ثم يعود الفراء ليشرح شاهد أبي عبيدة ، ويوجهه على تفسيره واعرابه فيقول : أراد في بئر ماءٍ لا يحير عليه شيئا[٦٥] هذا الاختلاف في اعراب (لا) في الآية الكريمة ذكرته كافة التفاسير من بعد أبي عبيدة الفراء • ونجد فيها شاهد أبي عبيدة مكررا مع الاختلاف في تفسيره تبعا لاختلافهم في اعراب لا • وهكذا نجد

---

(٦١) سورة المائدة ٥ : ٦
(٦٢) التبيان ٦ : ٤٥٣ ، املاء ما من به الرحمن ١ : ٢٠٩ ، مجمع البيان ٦ : ١٦٥
(٦٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥
(٦٤) لم ينص الفراء على اسم ابي عبيدة وانما قال (قال بعض من لا يعرف العربية) وقد وجدنا انه رأي ابي عبيدة كما هو مثبت في مجازه وكما نص عليه الازهري في لسان العرب (مادة غير) •
(٦٥) ن•م

الطبري[٦٦] يعرض الرأيين مع التمثيل لهما بشاهد أبي عبيدة ، وشاهد الفراء ، على حين نجد الزمخشري[٦٧] والطبرسي[٦٨] يعرضان هذه الآراء دون ذكر لشواهدها .

وفي تفسير قوله تعالى : (بئسما اشتروا به أنفسهم)[٦٩] اتفق المفسرون على ان معنى اشتروا هو باعوا ، ومع ذلك لا بد من التعرف على شواهدهم ما داموا متفقين على معنى الكلمة . فقد أنشد الفراء شاهدا لاستعمال باع بمعنى اشترى :

ويأتيك بالاخبـــار مَنْ لم تبـع له
بتاتا ولم تضرب له وقت موعِد[٧٠]

على معنى لم تشتر له بتاتا . أما الطبري فانه يذكر شواهد من كلام العرب استعملت فيها شرى بمعنى باع كقول يزيد بن مفرغ :

وشـــريتُ بـرداً ليتنـــي من بعد بُردٍ كنت هامة[٧١]

ويزيد هذا شاعر اسلامي . وبعـد أن يروي الطبري قوله يعود ليذكر شاهدا آخر لشاعر جاهلي هو المسيب بن علس وهو قوله :

يُعطى بهـــا ثمنـــا فيمنعهـــا
ويقول صاحبهـــا : الا تشـــري[٧٢]

ثم يتكرر شاهد يزيد بن مفرغ في التفاسير الاخرى دون شعر المسيب[٧٣] والمسيب شاعر جاهلي كان أحق أن يتمثل بشعره قبل شعر شاعر اسـلامي . الا ان المفسرين لم يلتزموا بهذا التحـديد الزمني ، ولم يرتبوا شـواهدهم حسب قدمها .

---

(٦٦) جامع البيان ١ : ٨١
(٦٧) الكشاف ١ : ٥٥ ، وانظر ايضا اعراب القرآن ١ : ١٦٥
(٦٨) مجمع البيان ١ : ٣٠
(٦٩) سورة البقرة ٢ : ٩٠
(٧٠) معاني القرآن ١ : ٥٦
(٧١) جامع البيان ١ : ٤١٥
(٧٢) ن.م
(٧٣) التبيان ١ : ٣٤٨ ، مجمع البيان ١ : ١٥٩ ، ويفسر ابن الجوزي الكلمة دون ذكر شاهد لها . انظر زاد المسير ١ : ١١٤

وهناك ألفاظ اختلفوا في تفسيرها لا لأنها غريبة بل لاستعمالها مجازا في القرآن الكريم • من ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل)[٧٤] فقد ذهب بعضهم الى ان معنى ذلك هو انهم سقوا الماء الذي ذُريت فيه سحالة العجل[٧٥] • وقال آخرون ـ ورأيهم الارجح لانه مستمد من طبيعة الكلام العربي وكثرة المجازات فيه ـ قالوا ان معناها اشربوا في قلوبهم حب العجل • فنجد ان أبا عبيدة ، وابن قتيبة ، والزمخشري وابن الجوزي[٧٦] يقرون هذا التفسير دون ذكر شاهد له ، وربما كان ذلك لانهم اكتفوا بمعرفة السامع للمعنى لكثرة استعمال المجاز في اللغة العربية ولكثرة حذف المضاف وابقاء المضاف اليه في تعابير العرب وأشعارهم • ولان هناك شاهدا آخر حذف فيه المضاف وبقي المضاف اليه وهو قوله تعالى (واسأل القرية)[٧٧] أي أهل القرية • ومن هنا لم يحتاجوا الى ذكر شاهد يؤيد كلامهم • اما الفراء فانه بعد ان يرجح هذا التفسير يتمثل بكلام العرب ويذكر عدة شواهد تقوي كلامه • وتتكرر شواهد في كتب من جاء بعده ، فيذكرها الطبري[٧٨] ، والطوسي[٧٩] الا انه يضيف شاهدا آخر لم يذكره الفراء ولا الطبري ، ثم يضيف الطبرسي شاهدا آخر الى الشواهد التي تقدمته[٨٠] •

وقد ينفرد بعضهم بذكر شواهد في تفسيره لكلمة من القرآن الكريم • من ذلك تفسير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)[٨١] فقد فسّر ابن عباس معنى نعبد أي نوحد ، ونخاف ، ونرجو[٨٢] • وفسرها الطبري بمعنى نخشع ونذل ونستكين ؛ لان العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وانها تسمي الطريق

---

(٧٤) سورة البقرة ٢ : ٩٣
(٧٥) جامع البيان ١ : ٤٢٣
(٧٦) مجاز القرآن ١ : ٤٧ ، تاويل مشكل القرآن : ١٦٢ ، القرطبي ١ : ٤٨ ، الكشاف ١ : ٢٢٧ ، زاد المسير ١ : ١١٥
(٧٧) سورة يوسف ١٢ : ٨٢
(٧٨) جامع البيان ١ : ٤٢٣
(٧٩) التبيان ١ : ٣٥٤
(٨٠) مجمع البيان ١ : ١٦٣
(٨١) سورة الفاتحة ١ : ٧
(٨٢) جامع البيان ١ : ٦٩

المذلل الذي قد وطئته الاقدام ، وذللته السابلة معبدا وفي ذلك قول طرفة ابن العبد :

تباري عتاقا ناجيات واتبعت
وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد(٨٣)

يعني بالمور الطريق المعبد المذلل الموطوء • ويكتفي الطبري بهذا الشاهد ليقول بأن الشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن وقف لفهمه • فاذا كانت الشواهد لمعنى العبادة أكثر من أن تحصى كما قال الطبري فان هذا يعلل عدم تمثل باقي المفسرين بالاشعار حين فسروا معنى نعبد(٨٤) • ولا داعي لاختلافهم في معاني العبادة هل هي الخوف والتوحيد والرجاء أم الذلة والخشوع ؟ لان كل هذه المعاني تفهم مجتمعة في الكلمة فالذليل يخاف ويخشع ويرجو •

وبعد ان ذكرنا عدة أمثلة تناولها المفسرون ، واحتج كل منهم لرأيه يتبين لنا ان الشواهد الشعرية تكررت في كثير من الكتب ، وانهم كانوا يذكرون نفس الشواهد حتى في حالة اتفاقهم على تفسير معنى من المعاني • فلا بد اذاً أن تكون المصادر التي استقى منها المفسرون شواهدهم واحدة أو يمكن القول بأن المفسر الاول حين ذكر شاهدا من الشعر اكتفى المفسرون من بعده بهذا الشاهد ولم يكلفوا أنفسهم عناء تتبع الشواهد الاخرى ـ الا في بعض الحالات كما مرّ بنا ـ واذا كان المفسران متعاصرين ، وتمثل كل منهما بنفس الشاهد فان هذا يعني انهم كانوا يأخذون شواهدهم من مصدر واحد ، أو راوية واحد اذ لا يمكن أن يقال ـ في هذه الحالة ـ انه لا يوجد الا شاهد واحد لمعنى كلمة بعينها وانما يمكن القول بأنهم قد اتفقوا في الاخذ عن مصادر معينة • ومراجعة بعض معاني التفسير في المعاجم اللغوية توسع نطاق هذا الرأي لاننا نجد ان اللغويين قد اتفقوا أيضا في كثير من المواطن على التمثل بشواهد من الشعر ذكرها المفسرون من قبل وهذا يعني ان الاعراب أو الرواة الذين كانوا مادة لرواية

(٨٣) ن٠م
(٨٤) ن٠م

الاشعار كانوا هم أنفسهم المصدر الذي استقى منه المفسرون واللغويون مادة تفسيرهم وشواهدهم • وقد تذكر المعاجم اللغوية شواهد ذكرها المفسرون الا ان صاحب المعجم يتمثل بها لغير السبب الذي تمثل به المفسر • من ذلك تفسير المفسرين لمعنى قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل)[٨٥] ـ الذي مرّ بنا ذكره ـ اذ تمثلوا بشواهد كان منها قول الشاعر :

حسبت بغام راحلتي عناقا
وما هي ويب غيرك بالعناق[٨٦]

أي حسبت بغام عناق راحلتي عناقا فحذف المضاف وبقي المضاف اليه • وقد ذكر هذا الشاهد نفسه في مادة (عنق) و(بغم) في شرحي هاتين الكلمتين في المعاجم اللغوية[٨٧] •

واذا تعلق مبحث التفسير بالاعراب والنحو وجدنا الشواهد متكررة في كتب التفسير والمعاجم والنحو ، من ذلك بحثهم لقوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم ، وأسرّوا النجوى • قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)[٨٨] • فقد اختلفت الآراء ، وتشعبت التعليلات بسبب اثبات الالف في (هذان) وحقهما الحذف لدخول اِن عليها • فقال بعضهم ان معنى اِن هو الابتداء والايجاب لانها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها فترفع الخبر ، ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان معنى ان هذان لساحران معنى كلامين ومعناه انه اي نعم ، ثم قلت هذان ساحران ، وذلك ان العرب ترفع المشترك كقول ضابىء :

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحله
فاني وقيار بها لغريب

---

(٨٥) سورة البقرة ٢ : ٩٣
(٨٦) انظر في هذا جامع البيان ١ : ٤٢٣ ، التبيان ١ : ٣٥٤
(٨٧) انظر في هذا معجم مقاييس اللغة ١ : ٢٧١ ، المحكم ١ : ١٣٠ ، لسان العرب مادة [عنق ، بغم] وقد وجد الشاهد نفسه في الانصاف ١ : ٣٧٢
(٨٨) سورة طه ٢٠ : ٦٢ ـ ٦٣

وقولـــــه :

ان السيوفَ غدوّهـــا ورواحهـــا

تركت هوازن مثل قرن الاعضب[٨٩]

وذكروا شاهدا وردت فيه ان بمعنى نعم ، وهو قول الشاعر :

ظـــل العـــواذل بالضحـــى يلحينـــي وألومهنـــهْ

ويقلن شـــيبٌ قـــد عـــلاكَ وقـــد كبـــرت فقلت انه[٩٠]

وقد أنكر الكسائي والفراء هذا القول • وقال الفراء انها اذا كانت بمعنى نعم وافتتح بها الكلام اقترنت باللام أو بلا • قال : ان لا خير فيه وابعده الله أي نعم لا خير فيه[٩١] •

وحاول قوم التخلص من تعليل هذه الظاهرة في القرآن الكريم فقالوا برأي لم يستندوا فيه على رواية صحيحة موثوقة وهو قولهم ان كتابة (هـــذان) باثبات الالف هي من غلط الكاتب في النسخ وانها تقرأ هذين مع وجود الالف في خط المصحف[٩٢] •

وأرجح الآراء ، وأقربها الى المنطق اللغوي رأي من قال بصحة اثبات الالف على انها لهجة من لهجات القبائل • ولم يحددوا موطن هذه اللهجة كما هو شأنهم في بحث الكلمات المخالفة للهجة قريش • فقال بعضهم هي لغة هوازن أو لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ممن يجعلون الاثنين في رفعهما ، ونصبهما ، وخفضهما بالالف • وقد أنشدوا في ذلك عدة شواهد مشهورة منها قول الشاعر :

فأطرقَ اطراقَ الشـجاعِ ولو رأى

مَسـاغاً لنـــاباهُ الشـــجاع لصمما

---

(٨٩) مجاز القرآن ٢ : ٢١ ، والشاهد الاول في شرح الاشموني ١ : ٩٤ ، شرح حاشية الصبان ١ : ٢٩٥

(٩٠) الكتاب : ١ : ٤٨ ، تفسير التبيان ٧ : ١٨٥ ، مجمع البيان ٧ : ١٥

(٩١) المباني ١١٠ ، جامع البيان ١٦ ، ١٨٢ ، التبيان ٧ : ١٨٥ •

(٩٢) نقل هذا الرأي في مجاز القرآن ٢ : ٢١ ، وقد رد عليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن : ٢٣٦

وقولـــه :

تزوّد منـــا بين اذناه ضـربة

دعتـــه الى هـــابي التراب عقيم

وأنشدوا أيضا :

أي قلوصٍ راكبٍ تراهـــا طـاروا عـلاهن فطر علاهـا

وأضافوا الى هذا شاهدا آخر وهو قول بعض شعرائهم :

واهـــاً لِريّا ثم واهـــاً واهـا يا ليتَ عينـــاها لنـــا وفاهـــا

إن أباهـــا وأبـــا أباهـــا قد بلغـــا في المجـد غايتاهـا[٩٣]

وقد رجح الطبري هذا الرأي ؛ لان اجماع القراء عليه ، وانه كذلك في خط المصحف[٩٤] • اما الزمخشري فقد ذكر هذه الآراء جميعا ، ولم يرجح احدها كما لم يتمثل بشاهد لها[٩٥] •

واشتراك النحويين والمفسرين في مناقشة مسألة من مسائل القرآن يعطينا فكرة عن اشتراك العلوم الاسلامية في خدمة القرآن • فقد كان هدف أهل اللغة والنحو خدمة القرآن بطريق حفظ قواعد العربية • ومن هنا كان جل بحثهم منصبا على مسائل الذكر الحكيم يبحثون في اعرابه ، وغرائب أساليبه ، بل انهم أهملوا البحث في المسائل التي فيها خروج عن أساليب القرآن الكريم ، واعتبروها لهجات شاذة • ثم ان اشتراكهم بالشواهد الشعرية يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا من وحدة المصادر التي استقى منها هؤلاء مادة شواهدهم •

وهكذا نجد الشعر مادة رئيسة استفاد منها المفسرون واللغويون في تفسير القرآن الكريم• واستدلوا بها على صحة آرائهم حتى قال بعضهم بأن خشية المفسرين وتحرجهم من تفسير القرآن هو الذي دفعهم الى التمثل بالشعر في كل مسألة من

---

(٩٣) مجمع البيان ٧ : ١٦ ، والبيت الثاني في المباني : ١٠٩ ، شرح الفية بن مالك ١ : ٤٦ ، شرح الاشموني ١ : ٢٩ ، حاشية الصبان ١ : ٧٩

(٩٤) جامع البيان ١٦ : ١٨٢

(٩٥) الكشاف ٢ : ٣٠٦

مسائل القرآن الكريم[٩٦] وليست الخشية من تفسير القرآن هي وحدها التي أوجدت هذا المنهج في التفسير لان المفسرين تمثلوا بالشعر لاجل أن يؤيدوا ما ذهبوا اليه من رأي في تفسير كلمة أو آية .

وهكذا شق منهج التفسير بالشعر طريقه في خضم اتجاهات التفسير المختلفة وقد وضع الزمخشري في مقدمة تفسيره شروط المفسر وعدته التي يجب أن تتوفر له حتى يتجشم تفسير القرآن الكريم وهي ان يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان[٩٧] . وقد سار على هذا المنهج في تفسيره البياني معتمدا اعتمادا كبيرا على الشواهد الشعرية في عرضه لروعة الاسلوب البياني للقرآن متجاوزا شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ليتمثل بشعراء من العصر العباسي كأبي تمام وابن هرمة وابن ميادة .

وقد اعتنى أبو محمد عبدالحق بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤١ في كتابه المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو يقع في عشرة أجزاء اعتنى المؤلف فيه بالشواهد الادبية للعبارات[٩٨] .

واذا جاوزنا التفسير ، وما كتب في غريب القرآن وألفاظه الى ما أُلف في الالفاظ الاسلامية بصورة عامة مثل كتاب (الزينة في الالفاظ العربية الاسلامية) وجدنا مؤلفه يشير الى استفادته من الشعر في شرح الالفاظ العربية الاسلامية التي ضمنها كتابه فيقول هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج اليها الفقهاء ، ولا يستغني الادباء عنها . وفي تعلمها نفع كبير ، وزينة عظيمة لكل ذي دين ومروءة ألّفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث[٩٩] . ونراه يسير على هذا المنهج في بحثه للكلمات القرآنية كتفسيره لاسماء الله الحسنى[١٠٠]

---

(٩٦) المباني : ١٩٨
(٩٧) الكشاف ١ : ٥١٨
(٩٨) فهرس دار الكتب ١٠ تفسير
(٩٩) الزينة ١ : ٥٦
(١٠٠) ن٠م ٢ : ١٣

وغيرها ، أو في تفسيره لاسماء وكلمات اسلامية كالمعرفة والانكار والاحصان ، والخلع والناشزة والملاعنة[١٠١] .

وقد استمرت هذه الطريقة في التفسير الى ان حدثت خصومة بين أصحاب هذا المنهج ، وبين بعض المتورعين المتشددين الذين وجدوا في التمثل بالشعر مأخذا يقلل من شأن القرآن وهو كلام الله اذ يوازن بالشعر وهو كلام البشر . واذا عدنا الى بوادر هذا الاتجاه وجدناها قديمة ففي الروايات المتعددة التي ينقلها الطبري مثلا عن المفسرين السابقين نجد ان كثيرا منهم – وان لم يصرح برأيه في هذا الشأن – يولي اهتمامه الناحية الفقهية أو ما يتعلق بالاسرائيليات مهملا في ذلك الشواهد الشعرية أو التفسير الادبي للقرآن الكريم . الا ان هذا الاتجاه أخذ منهجا واضحا في معارضة التفسير بالشعر ولعل خير من يمثل هؤلاء هو كتاب (غرائب القرآن) الذي بيّن مؤلفه في المقدمة منهجه وذكر بانه قد ضمن كتابه مما وجده في كتب التفسير وخاصة كتاب الكشاف حيث يشرح ما يجد فيه من المعضلات تاركا الابيات الشعرية التي تمثل بها الزمخشري لاعتقاده بانه لا يورد الشواهد الشعرية الا من ظن بان تصحيح القراءات وغرايب القرآن انما تكون بالامثال المستشهدات فيقول رافضا هذا المنهج (كلا فان القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه)[١٠٢] ومع ذلك وجدناه يتمثل في كتابه بالاشعار يؤيد بها كلامه . من ذلك شرحه لقوله تعالى (واشتروا الضلالة بالهدى)[١٠٣] حيث تمثل بقول الشاعر :

أخذت بالجُمةِ رأساً أزْعَرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويلِ العمرِ عمراً جيدرا
كما اشترى المسلمُ اذ تنصّرا[١٠٤]

---

(١٠١) الزينة الورقة ١٤٥ (أ) فما بعدها .
(١٠٢) غرائب القرآن ١ : ٨
(١٠٣) سورة البقرة ٢ : ٩٣
(١٠٤) غرائب القرآن ١ : ١٧٩

وقال شارحا العوان بانها النصف ثم أنشد :

فان أتوك وقالوا انها نَصَفٌ

فان أحبب نصفيها الذي ذهبا[١٠٥]

واذا كان تمثله بالشعر هنا لا يختلف عن منهج المفسرين الذي ذكرناه سابقا فاننا نجده يستطرد في شرح الآيات الكريمة متمثلا بالاشعار ، ناسيا ردّه الصارم على من ذهب هذا المذهب في التفسير • من ذلك انه حين شرح قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)[١٠٦] شرح الحسد ، وعواقبه الوخيمة ، وكيف انه يفضي الى الندامة ، والتلف وعذاب نفس الحاسد ، وتمثل بأبيات الشاعر :

اصبر على مضض الحسود فانّ صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله[١٠٧]

وقد يستدل بحسد الحاسد على كون المحسود محضوضا من الله تعالى بمزيد الفضائل • ومن هنا تمثل بأبيات أخرى • وهكذا نجده يتمثل بالابيات الشعرية متناسيا منهجه الذي وضعه في مقدمة كتابه ؛ لان طبيعة العقل البشري تحتاج دائما الى الادلة ، والبراهين وتضطره الى ذكر الشواهد التي تؤيد كلامه ، وتقوي رأيه •

وهكذا نجد ان الخصومة لم تقم على أساس منطقي يجوّز لمعارضي منهج التفسير بالشعر اعتراضهم ، لان ذكر الشواهد في تفسير القرآن لا يعني اعتبار الشعر أصلا للقرآن كما ذهب هؤلاء[١٠٨] وانما يعني استفادتهم من الشعر في فهم معاني القرآن وغرائب تعبيره ؛ لان الله تعالى قال في محكم كتابه (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[١٠٩] وقال : (كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم

---

(١٠٥) في سورة البقرة ٢ : ٦٨

(١٠٦) سورة الحجر ١٥ : ٤٧

(١٠٧) غرائب القرآن ١ : ٤١١ وانظر ايضا : ١٧١ ، ١٧٥ ، ٣٠٥ ، ٣٤٢

(١٠٨) ن٠م ١ : ٨

(١٠٩) سورة يوسف ١٢ : ٢

يعلمون)[١١٠] . وقال جل من قائل أيضا (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[١١١] . فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وأساليبهم . ومن هنا لم يتحرج المفسرون من التمثل بالشعر بل وجدوا فيه حجة لما يذهبون اليه في مخالفة بعضهم البعض عند تفسيرهم لمعاني وتعابير القرآن الكريم .

مصادر البحث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي جلال‌الدين عبدالرحمن ـ ٩١١ هـ مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥١

٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ـ ٨٥٢ هـ المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م

٣ ـ اعراب القرآن ـ الزجاجي تحقيق ابراهيم الابياري . القاهرة وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٣

٤ ـ الاغاني ـ الاصفهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد القرشي ٣٥٦ هـ . مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ

٥ ـ املاء ما مَنَّ به الرحمن في وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ـ لابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ٥٣٨ـ٦١٦ هـ ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ١٣٨٠ هـ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٦ ـ الانصاف ـ ابن الانباري كمال‌الدين أبو البركات . القاهرة ١٩٦١

٧ ـ البحر المحيط ـ أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي ٦٥٤ هـ . القاهرة ، مطبعة السعادة ٣٢٨

٨ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ـ ٢٧٦ هـ ، تحقيق أحمد صقر . القاهرة . دار احياء الكتب العربية ١٩٥٤

٩ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ـ ٤٦٠ هـ ، تحقيق أغا بزرك الطهراني النجفي . المطبعة العلمية ١٣٧٦

---

(١١٠) سورة فصلت ٤١ : ٣

(١١١) سورة الزخرف ٤٣ : ٣

١٠- جامع البيان عن تأويل القرآن - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير - ٣١٠ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م
١١- جمهرة اللغة - ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي - ٣٢١ هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
١٢- الحيوان - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ • تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م
١٣- ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق عبدالعزيز رباح • دمشق المكتب الاسلامي ١٩٦٤
١٤- زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي - ٥٩٧ هـ، دمشق ١٩٦٥
١٥- الزينة في الالفاظ العربية الاسلامية - الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان - ٣٢٢ هـ تحقيق حسين بن فيض‌الله الهمداني • القاهرة ١٩٥٧ • والمخطوط في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦
١٦- شرح الاشموني - الاشموني علي بن محمد تحقيق مصطفى حسين أحمد• مصر ١٩٥٥
١٧- شرح حاشية الصبان ، محمد بن علي الصبان تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة ١٩٤٧
١٨- شرح ديوان المفضليات - الانباري أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار - ٣٠٤ هـ تحقيق لايل • بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٢٠
١٩- شعر أبي زبيد ، تحقيق الدكتور نوري القيسي • مطبعة المعارف ١٩٦٧
٢٠- صفة الصفوة - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ٥٩٧هـ • دائرة المعارف العثمانية • حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ
٢١- غاية النهاية في طبقات القراء - شمس‌الدين ابن الجزري نشر ج• برجستراسر القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣٢
٢٢- الطبقات الكبرى - ابن سعد ، محمد - ٢٣٠ هـ تحقيق ادوارد سخو ليدن، مطبعة بريل ١٣٢١ هـ

٢٣ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن ـ ٤٦٣ هـ • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • مطبعة حجازي ١٣٥٧ هـ/١٩٣٤ م

٢٤ـ غرائب القرآن ـ النيسابوري ، نظام‌الدين حسن بن محمد القمي تحقيق ابراهيم عطوه عوض • القاهرة ، مطبعة مصطفي البابي ١٩٦١

٢٥ـ فهرس رجال الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ٤٦٠ هـ تحقيق محمد صادق بحر العلوم • المطبعة الحيدرية • النجف ١٩٦٠

٢٦ـ القرآن الكريم

٢٧ـ القرطين في مشكل القرآن وغريبه ـ ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ٢٧٦ هـ القاهرة ١٣٥٦ هـ

٢٨ـ الكتاب ـ سيبويه • مطبعة بولاق

٢٩ـ الكشاف ـ الزمخشري ، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ • القاهرة • مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ ـ ١٣٧١

٣٠ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ، تحقيق محمد شرف‌الدين، ورفعت بيلكا • مصر ١٩٤١

٣١ـ لسان العرب ـ ابن منظور ، أبو الفضل جمال‌الدين محمد بن مكرم ـ ٧١١ هـ بولاق • المطبعة الاميرية ١٣٠٠ هـ

٣٢ـ مجاز القرآن ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ٢١٠ هـ تحقيق محمد فؤاد سزكين • مصر محمد أمين الخانجي ١٣٧٤ هـ

٣٣ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ، تحقيق أبو علي الفضل بن الحسن • طهران ١٣٧٩ هـ

٣٤ـ مذاهب التفسير الاسلامي ـ جولد تسهير ، ترجمة عبدالحليم النجار ، مكتبة الخانجي ، مكتبة المثنى ١٩٥٥

٣٥ـ المزهر في علوم اللغة العربية ـ السيوطي ، عبدالرحمن جلال‌الدين ، ٩١١ هـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين • مصر ، دار احياء

الكتب العربية ١٩٥٨

٣٦- مسائل نافع بن الازرق • دمشق المكتبة الظاهرية برقم ٢٨٤٩ (١١٣) مجاميع

٣٧- معاني القرآن - الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ٢٠٧ هـ تحقيق أحمد نجاتي ، ومحمد علي النجار • القاهرة • دار الكتب المصرية ١٩٥٥

٣٨- معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، زكريا ٣٩٥ هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ

٣٩- مقدمتان في علوم القرآن - مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية ،نشر آرثر جفري • مكتبة الخانجي ١٩٥٤ مطبعة السنة المحمدية

٤٠- نكت الهميان - الصفدي ، صلاح‌الدين خليل بن ايبك ٧٦٤ هـ المطبعة الجمالية • القاهرة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م